الترجمة الحرفية ومضمون النص الأدبي

الدكتورة حفصة نعماني
أستاذة اللغة الإنجليزية
المركز الجامعي لولاية البويرة

ظلّت الترجمة بمعنى النقل من لغة إلى أخرى حبيسة الجملة تنوس بين الحرفية والتحرّر من القيود البنيوية، وما إن ظهرت لسانيات النصوص إبّان ستّينات القرن الماضي حتى تخطّت هذه العملية الحيوية حدود الجملة (Boundaries Sentence) لتتّخذ من النص وحدة دلالية (Semantic Unit).

والنص حسب كاتفورد Catford (1965: 21) "امتداد لغوي يتكــوّن من مكتبة تحوي عددا من الكتب أو من كتاب أو من جملة أو من عبارة أو من كلمة." وتتنوع الترجمات بتنوع النصوص، غير أنّنا سنركز على الترجمة الأدبية لأنّ النص الأدبي – على نقيض النص العلمي – في لغة المتن (Source Language) رؤية للحياة إن لم نقل رؤية الكاتب الخاصة للعالم، فهل من سبيل لينفذ المترجم إلى ما يختزنه هذا النص من أحاسيس وإيحاءات ومظاهر حضارية وثقافية؟

والترجمة في نظر كاتفورد (م ن: 20) "إحلال مادة نصية في لغة ما (لغة المتن) محلّ مادة نصية تكافؤها في لغة أخرى (لغة الوصول)"، وهي في رأي نيومارك Newmark (1981: 7) "حذاقة" Craft ما يفضي إلى أنّ الإبداع مقوّم أساسي في الترجمة الأدبية إذ لا خير في مترجم تعوزه ملكة إحدى اللغتين (لغة المتن Source Language ولغة الوصول Target Language). وليست الملكة اللغوية وحدها كفيلة بإنجاز ترجمة أدبية لأنّ المترجم ملزم بالاطّلاع على ثقافة اللغة التي ينقل منها اطّلاع المتحدّثين بها، فهو قارئ وكاتب على حدّ السواء يصبو إلى إفهام المتلقّي (Receptor) الذي يفترض أنّه يجهل لغة المتن أو غير ملمّ بخباياها. وعلى من يخوض غمار هذا الاختصاص أن يجعل نصّه ابن بيئته مترجما الشعر بالشعر والنثر بالنثر ما استطاع إلى ذلك سبيلا على ألا يقدّم لقارئه أو سامعه نصّا يتنافى ومقوّماته الثقافية: فلا يجوز أن ينقل مثلا من يترجم إلى اللغة العربية نقلا حرفيا أثناء ترجمته لرواية مكتوبة باللغة الإنجليزية يصوّر أحد مشاهدها تعبير أب عن اشتياقه لابنته بعد غياب طويل بتقبيل فمها، بل يترتّب عليه ذكر طبع القبلات على الجبين أو الوجنتين لأنّ الخلفية الثقافية (Cultural Background) للمتلقي العربي لا تستسيغ مثل هذا المشهد بين أب وابنته.

ولا ينبغي لمن يترجم من اللغة الإنجليزية إلى المتلقّي العربي أن يقابل كلمة "Owl" بكلمة "بومة" لأنّ الدلالة الاجتماعية للطائر ليست نفسها في الثقافتين: فهو عند الإنجليز رمز للتفاؤل بينما تعتبره العرب نذير شؤم وخراب.

وتقف التعابير الاصطلاحية والأمثال الشعبية عقبة في وجه المترجم غير المطّلع على ثقافة أهل لغة المتن، والمترجم البارع المبدع هو ذاك الذي يضع قارئه أو سامعه نصب عينيه: فإذا كان المتلقّي طفلا وجدناه يعمد إلى أيسر الأساليب حتّى وإن كلّفه ذلك الاهتمام بالمعنى دون المبنى، وإذا كان النص موجّها لغير الطفل وجدناه يبحث عن المكافئات التي يتهيّأ له بفضلها إلباس نصّه المنقول جلباب حضارة أهله كلّما تأتّى له ذلك. والأمثلة في هذا المجال لا تعدّ ولا تحصى، إذ كيف يمكن أن يعبّر من يترجم من اللغة الإنجليزية إلى لغة أخرى عن معنى يفيد مضيّ زمن طويل على وفاة شخص ما إذا كان يجهل التعبير الكنائي المتداول " He is smelling the daffodils"؟ ولعلّ عبارة "نبت الربيع على دمنته" تؤدّي المعنى لدى المتلقّي المتحدّث باللغة العربية. وكيف يستطيع من لا يعرف فحوى عبارة "White elephant" الدالّة على عدم جدوى الشيء وإن بدا مفيدا للعيان أن ينقل معناها إلى المتلقّي غير المطّلع على ثقافة لغة شيكسبير إذ لا وجود في مخيّلة أيّ منّا لصورة عن فيل أبيض اللون؟!

وذكر عديّ جوني (2008) في مقال له ما ورد في إحدى الصحف الأسترالية الصادرة باللغة العربية بولاية سيدني ترجمة لجزء من خطاب رئيس حكومة الولاية: "نحن لا نريد أن تتحوّل المنشآت الأولمبية إلى فيل أبيض".

وإذا كان للقمر في الثقافة العربية بعد رومانسيّ لأنّه رمز الحبّ والهيام فهو في الثقافة الفرنسية رمز الطفولة والبراءة والغباء أحيانا، فكيف يستطيع من ينقل إلى المتلقّي الفرنسي التعبير عن التشبيه "أنتِ قمر" أو "أنتِ كالقمر" إن لم يعدل عن الترجمة الحرفية غير المؤدّية للمعنى؟ وكيف يكون بمقدور غير العارف بالعامية الجزائرية أن ينقل للمتلقّي الغريب عنها دلالة التعبير المجازي "صام عام وفْطر على جرانة" إن لم يوظّف السياق اللغوي ضمن إطار يتعدّى القاموسية؟

ونلفت انتباه القارئ إلى أنّ عبارات التعريض (Implicatures) تختلف من مجتمع إلى آخر، فإن كان الجزائريون في لهجتهم يستعملون كلمة "جرانة" "ضفدع" في المثل المذكور للدلالة على تجنّب اتّخاذ قرار غير حكيم بعد صبر طويل فإنّ المصريين يقولون في هذا الصدد: "أصوم وأفطر على بصلة!؟" (نجيب محفوظ، 1947: 26).

وقد تضرب الأمثال تبعا لأحداث وقعت في بيئة ما فلا يفهم معانيها إلاّ أهلها وهذا ما يعسّر نقلها من لغة إلى أخرى، فكيف يتأتّى مثلا نقل "عاد بخفّي حنين" أو "وافق شَنّ طَبَقة" أو "جنت على أهلها براقش" إن لم يلجأ المترجم إلى أسلوب يجنّبه الترجمة الحرفية التي لا تفيد المتلقّي غير العربي. بيد أنّ الإبداع نسبيّ في الترجمة الأدبية إذا أيقنّا أنّ هذه العملية وسيلة

تبليغية (Means of Communication) تمكّن من الاحتكاك الحضاري خاصّة إذا تعلّق الأمر بالنصوص الوصفية التي تتحدّث عن العادات والتقاليد والمأكل والمشرب، فالرأي أن يعمد المترجم إلى نقل المفردة أو المصطلح وفق ما تقتضيه المعايير الكتابية للغـــة الوصول (Transliteration) ثمّ يشرح الغريب بهوامش تفسيرية، ولا تعدّ حاشية المترجم تقليلا من قدراته كما يعتقد بعض غير ذوي الاختصاص.

وتحمل النصوص الدينية – وعلى وجه الخصوص النص القرآني – في لغاتها الأصلية إشكالية التأويلية حيث تستوجب قداسة هذه النصوص من المترجم الإقلاع عن الإبداع ومحاولة اللجوء إلى الترجمة الحرفية التي يراها فيناي Vinay وداربلنيه Darbelnet (1972: 49) أنجع حلّ إذا أفادت المعنى، غير أنّ الحرفية غالبا ما توقع قارئ هذا الجنس الأدبي فـــي الأخطاء المعرفية (Cognitive Errors) إن لم تعزّز بشروحات تفسيرية، ونذكر من الأمثلة القرآنية قوله تعالى في الآية الثامنة والعشريـــن من سورة مريم: ﴿ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمّك بغيّا﴾. فالترجمة الحرفية لـــ "يا أخت هارون" إلى أيّ لغة أخرى دون تعليق كأن يقال في اللغة الإنجليزية "Sister of Aaron" أو "Aaron's sister" تجعل المتلقّي غير المتقن للغة العربية أو المتلقّي غير العربي يتوهّم أنّ هارون ومريم عليهما السلام أخوان شقيقان، وقد صادفتنا بعض الترجمات التي نهج أصحابها هذا المنهاج كترجمة عز الدين الحايك (1998: 436)، والأمر ليس كذلك قطعا لأنّ أخوّتهما مجازية: فقد يكون هارون المذكور في الآية الكريمة فعلا أخا موسى عليهما السلام وهي من نسله وذرّيته، كأن يقال لعربي على وجه التعميم "يا أخا العرب" أو لقرشيّ على وجه التخصيص "يا أخا قريش"، ومعنى مخاطبة القوم لمريم: يا من تنتسبين إلى هذا النبي الصالح بالعبادة والانقطاع للهيكل، لأنّ خدمته كانت موقوفة على ذرّية هارون عليه السلام. وقد يكون هارون المشار إليه في الآية ذاتها رجلا من قوم مريم عليها السلام صالحا أو طالحا (الزمخشري، 2000، ج3: 102) وهي مشبّهة به في الخطاب مدحا أو ذمّا، والرأي الثاني أرجح لأنّ الفترة الزمنية بين عمران أبي موسى وعمران أبي مريم تربو عن 1800 سنة. وقد روى الأئمّة أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن الصحابي المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قوله: "بعثني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أهل نجران فقالوا: أرأيت ما تقرؤون «يا أخت هارون» وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: «ألا أخبرتهم أنّهم كانوا يتسمّون بالأنبياء والصالحين قبلهم.»" (ابن كثير، 2006، ج3: 151–152).

وذكر المستشرق الإنجليزي جورج سيل George Sale (1896، ج3: 106) في هامش الصفحة أنّ العديد من المسيحيين يعتقدون بوجود خطأ في النص القرآني، ثمّ أورد مختلف الاحتمالات المبيّنة لهوية هارون حسب ما أورده المفسّرون.

وقد تلتبس الأمور على غير الملمّ باللغة العربية في فهم قوله تعالى: ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظنّ أن لن نقدر عليه ...﴾ [الأنبياء: 87]، ويمكن أن يقع الالتباس في موضعين من شطر هذه الآية:

ــ فإذا اكتفينا بكتابة كنية النبي يونس عليه السلام وفق المعيار الخطّي في لغة أجنبية (Transliteration) دون إيضاح أنّ "ذا" تعني صاحب وأنّ "النون" تعني الحوت ودون ذكر سبب هذه التكنية قد لا يفهم قارئ الترجمة أنّ المقصود من السياق هو النبي يونس بن متّى عليه السلام، وقد يتبادر إلى ذهنه أنّ "Dhun-Nũn" اسم كسائر الأسماء.

ــ وإذا ترجم الفعل المضارع "نَقْدِر" بمعنى القُدرة لا القَدر، فقد يفهم القارئ لا محالة أنّ يونس عليه السلام كان يعتقد عند خروجه من نينوى أنّ الله عزّ وجلّ لن ينفّذ فيه قدرته وسلطانه، غير أنّ المقصود من السياق هو التضييق والقضاء وتسليط العقوبة إذ يستبعد أن يشكّ نبي في القدرة الإلهية. فينبغي أن يترجم التركيب «لن نقدر عليه» بـــ« We will not punish him» بدل:

(J. Sale .1896, V3: 150) « We could not exercise our power over him » (A. Yusuf Ali. 1979, V1: 150) « We had no power over him »

ويعدّ الحذف (Ellipsis) في اللغة العربية سمة أسلوبية تزيد النص جمالا وهو في حكم المنطوق به، ويتدرّج من الحرف الواحد أو الضمير المتصل إلى الجملة بأسرها، ويحوي النص القرآني عدّة مواطن تجلّى فيها هذا الأسلوب وتقتضي من المترجم إبراز

المحذوف لألاّ تكون الترجمة الحرفية مخالفة للمعنى أو مخلّة به، نحو قوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ...﴾ [الإسراء: 16]، فمن يجنح إلى الترجمة الحرفية يكون قد حاد عن المعنى المراد لأنّ الله جلّ شأنه لا يأمر بالمعاصي وهو الناهي عنها، فالفاء ليست حرف عطف أو استئناف وإنّما تدلّ على مخالفة الأمر الربّاني، ومعنى الكلام المحذوف أمر مترفيها بالطاعة أو بالتقوى أو بفعل الخير.

والترجمة الأدبية في واقع الأمر ليست غاية سهلة المنال وإنّما هي عملية معرفية يسعى منجزها إلى إحداث أثر في نفس قارئها أو سامعها يقارب ما يحدثه النص الأصلي في نفس أهل بيئته، ولا يحصل ذلك إلا باطّلاع المترجم اطّلاعا كاملا على ثقافتي لغة المتن ولغة الوصول حتّى لا ينتج نصّا فضفاضا يلبسه من حلل البيان ما لم يلبسه صاحبه في لغته الأم أو لغة منشئه أو ينتج نصّا رديئا لشدّة التصاقه بالأصل فيحرم المتلقّي من استيعابه والاستمتاع به والتفاعل معه فينفر منه لأنّه لا يجد فيه ما يمتّ بصلة لبيئته.

ـ الهوامش:

1. يمكن أن يترجم هذا التعبير الكنائي حرفيا إلى اللغة العربية "إنّه يشمّ النرجس البري" فلا يؤدّي المعنى المقصود.

2. النص الأصلي:

"We don’t want to leave the Olympic venues to become a white elephant "

3. استعمل نجيب محفوظ في روايته "زقاق المدقّ" العديد من عبارات التعريض ولم يتمكّن ترافر لوغاسيك Trevor Le Gassick (1975) من إيصال معانيها إلى المتلقّي الإنجليزي في ترجمته "Midaq Alley" في عدّة مواضع، واهتمّ عكرمة شهاب (2004: 691–709) بتحليل تسع منها وتبيان أخطائها الترجمية.

4. وردت كذلك كنية عمّ النبي صلّى الله عليه وسلّم عبد العزّى بن عبد المطّلب في قوله تعالى ﴿تبّت يدا أبي لهب وتب ﴾ [المسد: 1].

ـ قائمة المراجع:

1. ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين. (2006): «تفسير القران العظيم»، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ج3، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر.

2. جوني، عديّ. 2008/08/16: «إشكالية الترجمة وثقافة النص»،

http//www.ofouk.com

3. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، (2000): «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»، شرح وضبط ومراجعة يوسف الحمادي، ج3، مكتبة مصر، الفجالة، مصر.

4. محفوظ، نجيب. (1947): «زقاق المدق»، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، الفجالة.

5. Al-Hayek, I. (1998): «The Honourable Qur'an in the English Language», 2nd Ed, Dar Al-Fikr, Damascus.

6.Catford, J.C. (1965): «A Linguistic Theory of Translation», Oxford University Press, London.

7. Newmark, P. (1982) : «Approaches to Translation», Pergamon Press, Oxford, G.B.

Sale, G. (1896): «A Comprehensive Commentary On the Qurān»: Comprising Sale's Translation and Preliminary Discourse, Vol3, Paternoster House, London.

8. Shehab, E. (2004): The Translatability of Utterances Containing Implicatures from Arabic into English, in An-Najah Univ. J. Res. (H. Sc.), Vol.

9. 18(2):691-709, http//www.jugaza.educ.ps/ara/research/

10. Vinay, J.P & Darbelnet, J. (1972): «Stylistique Comparée du Français et de l’Anglais», Didier, Paris.

11.Yusuf Ali, A. (1979): «The Meaning of the Glorious Qur'ān», V1, Dar Al-Kitab Allubnani, Beirut.